

## الهجرة النبوية الشريفة .. انتصار الخير على الشر

محمود القاعود - مصر

منذ أن خلق الله بني آدم، وجد الخير والشر، ودائما ما ينتصر الخير على الشر مهما طال الصراع بينهما ومهما استمر الظلم والطغيان.. فالصراع بين الخير والشر صراع أبدي ودائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، واللبيب من يتأمل في نهايات الصراع الشرس الممتد عبر التاريخ بين الخير والشر.

رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، اسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جئنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أسرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيت ربنا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طيننا لك انطلب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه، فقال الرسول ﷺ: أفد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم، قال: فاسمع مني. قال: أعمل. قال: يسمع الله الرحمن الرحيم ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون...﴾ (فصلت

ربه، فأخذوا يضيقون عليه ويروعون اتباعه ويعذبون أنصاره، ويحاصرون قومه، وحاولوا يثنى الطرق أن يعرقلوا مسيرة الدعوة، فلما وجدوا إصرار الرسول ﷺ على دعوته، ذهب بعضهم إلى الترغيب عليهم بجودا فيه ما يشبه عن الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد.

أورد أصحاب السير أن عتبة بن ربيعة ذهب للرسول وقال له: «يا ابن أخي، إنك متا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أثبت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسقطت به أحلامهم، وعبت به من مضى من آياتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له

إني كضربت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (إبراهيم - ٢٢).

### أروع الانتصارات

من أروع الأمثلة في تاريخ انتصارات الخير على الشر، حادث الهجرة النبوية الشريفة.. تلك الهجرة إلى الله، تلك الهجرة التي كانت هجرا للظلم والفحش والطغيان.. تلك الهجرة التي أسست لعالم خير يرسو عليه القيم والمثل والأخلاق.. عالم تكون فيه كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

لقد تعرض الحبيب المصطفى ﷺ لحمالات إيذاء عنائية منذ أن بدأ يجهز بدعواه المباركة، فلم يرق لأنصار الشر الكفار ما جاء به محمد ﷺ من عند

لم نسمع أو نقرأ أبدا عن انتصار الشر على الخير.. نعم قد يبدو للناس أن هناك شرا لا خلاص منه، ولا انتصار للخير عليه، لكن سرعان ما يبدو الخير هويلا لا يخلو وعده أبدا، وترى الشر يندحر وينزوي بعيدا، وتعلم أول صراع بين الخير والشر هو ما وقع بين ابني آدم، وحكاه رب العزة في قرآنه الكريم.

والمتأمل في مصير الأشرار يجد أنهم لا يتعظون من حوادث التاريخ ولا من نهايات الشر المخزية، فقد غرقت الحياة الدنيا واستجابوا لدناء الشيطان الرجيم رغم علمهم ويقينهم أن الشيطان يقول الحق سبحانه وتعالى يحكي قصة الشيطان الرجيم يوم القيامة، وكيف أنه يخذل من استجابوا لدعوته الأثمة، واعتزاف الشيطان بأن الله هو الحق وأن وعده الحق، ونفيه اللوم عن نفسه، فما فعله لم يتعد أنه دعاهم للفسوق والعصيان، وهم استجابوا لدعوته الأثمة ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي



١: ٣) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها وهي قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت - ٣٧) فسجد رسول الله ﷺ ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك، فلما بش عتبة من مساومة الرسول الأعظم خرج يبلغ قومه ما كان، فاجتمع رأيهم على أن يجتمع بالرسول أشراف قريش من كل قبيلة، وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو لهختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن



## الظلم سرعان ما يتهاوى وشريعة الشيطان تؤدي إلى الشرور والآثام ... والعدل يجب أن يسود بين البشر

الفجر

لم يخبرنا التاريخ أنه في أحد الأيام توقفت الدنيا عند الليل ولم ينبج النهار، ولم يجعل الله الليل سرمدا إلى يوم القيامة، بل جعل الليل والنهار، ومهما طال الليل فلا بد من طلوع الفجر ولا بد من شروق الشمس، وكذا مهما طال الظلم وال جور فلا بد أن تتحقق العدالة ولا بد أن تكون هناك نهاية للعذاب ولا بد أن ينتصر المظلوم فالأيام دول. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

وله در الشاعر أبي البقاء الرندي إذ قال في رثاء الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان  
فلا يُكره بطيب العيش إنسان  
هي الأمور كما شاهدتها دول  
من سره زمن ساءت أزمأن

لقد اشتد الإيذاء لرسول الله ولصحبه الأطهار، وكانت العبارة الخالدة للرسول الكريم «صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» تعبر عن مدى بشاعة التعذيب والتكثير والإجرام الذي يلاقيه المسلمون.

بداية النهاية لرحلة الظلم والعذاب

اشتد الكرب والبلاء على رسول الله ﷺ، وهنا كان لا بد من الهجرة للمحافظة على أمر هذا الدين.. حاصر عتاة الكفر والإجرام بيت رسول الله ﷺ ليقتلوه. وبنام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطولة في فرائض المصطفى ﷺ، ويعمي الله الكفار، ويضع الرسول الكريم فوق رؤوسهم القرايب إمعانا في إذلالهم، فاجأ الكفار بما حدث

إلا أن تمسكه بالحق يزداد ووقوفه في وجه الجور والكفر والطغيان يتعاضد.

التحاييل على الخير

اجتمع الكفار بأبي طالب عم الرسول ﷺ، وأبلغوه أن يسلموا محمدا ﷺ في أمر الدعوة ليريحهم ويستريح، يتركهم على الكفر ويكون أذاهم عنه وعن أتباعه.

يقول ابن إسحاق في سيرته حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قرئنا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، والذي كانوا قالوا له، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله وسلمه وأنه قد طعف عن نصرته والقيام معه، قال رسول الله ﷺ: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أشرك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

وأمام هذا التصميم الرهيب على مواصلة الدعوة وعدم الخضوع لابتزاز الشر وأهله من عتاة الكفار كانت حملة عاتية ضارية شنّها الكفار الفجار ضد الرسول ﷺ وأصحابه الكرام الذين آمنوا بدعوته وصدقوا برسائله. سبها طال الليل فلا بد من طلوع

الأسود، والوكيد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمّية بن خلف ليفاوضوه، حتى إذا ما قصرت الحجة بأحدهم لقنها إياه صاحبه.

فاجتمعوا وبعثوا إلى محمد بن يخبره ويقول له: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكنموك قاتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أنه قد بدا لهم بما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصا، يحب رشدكم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لتكنمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وصبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد حثته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت لهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فإنا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا منكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراء قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطلب لك حتى نبرئك منه أو نعدر فيك. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل إلي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فمن قبلوا مني ما جئتمكم به فهو خطكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. أ هـ

هكذا حاول الكفار مع رسول الله ﷺ بجميع الحيل وشتى الطرق،

ويعلنون عن جوائز ضخمة لمن يأتي برسول الله، أحداث تتلاحق ويد الله تؤيد الرسول ﷺ وصاحبه أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لا يخشى من ملاحقة الكفار الأشرار الذين أقسموا ألا يتركوه حيا، ويمكث رسول الله وصاحبه في الغار، ويخشى أبو بكر من بطش الكفار الذين يحاصرون الغار وبينهم وبين الرسول وصاحبه عدة أمتار «يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضعي فهمي لرأنا، لكن الرسول ﷺ يطمئنه قائلا: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا» شهدا نفس الصديق.. فمادام بعد حماية ورعاية الله

اليد يطلع في المدينة المنورة ظل الانتصار ينتظرون طلوع رسول الله ﷺ، مرت الأيام وهلك أنوار الحبيب ﷺ، وهرع أهل المدينة يستقبلون أشرف خلق الله أجمعين، الكل يريد أشرف مصافحة الرسول والجلوس إليه، الجميع يشد، مرت الأيام ودخل رسول الله مكة التي أخرج منها وفر من عذاب أهلها وجورهم، وسال الرسول الكريم أهلها: «يا

معيشر قريش: ما ترون أتي فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم ما قاله يوسف لإخوانه: لا تتربص عليكم اليوم.. انهضوا فانتم الطلقاء» غفر الرسول الكريم لجميع من آذوه وضيقوا عليه وحاصروه، لم يستجب لشهوة الانتقام رغم إجرام أهل مكة من الكفار الذين فعلوا به وبأصحابه الأفاضل، سامحهم وهو في موقف القوة والقدرة عليهم. بين لهم كيف أن الخير ينتصر على الشر مهما طالّت الأيام والليالي، وأن الظلم سرعان ما يتهاوى، وأن العدل يجب أن يسود بين البشر، فشريعة الشيطان تؤدي إلى الشرور والآثام، وشريعة الله تؤدي إلى العدل والإحسان والخير.